القطع المخمّسة
في
مدح النّعال المقدّسة

للشيخ الأديب
محمد بن فرج السبتي رحمه الله

برعاية
المجلس الصوفي لدراسة الشؤون المحمّدية

ﺑِسْمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم
الحمد لله والصّلاة والسّلام على سيد الوجود وعلى آله وصحبه وسلّم

قال الشيخ محمد بن فرج السبتي رحمه الله :
آثرت التخميس على التعشير، ليكون أسرع لحفظها ، وأبرع للفظها ؛ وأيضاً فوجود خمس من القوافي في نظم لزومي أو نثر، أهون على الفكر من وجود عشر.

هذا وإنْ كان اللّسان العربي فصيحاً فسيحاً لا يضيــق ، ولا يكاد يخرج عنه لسان كلّ فريق ؛ وليس مـن شرط المطالعة ، أنْ يحفظ الغريب من الكلام كلّ من طالعه ؛ والله سبحانه أسأل أنْ يجعلها من القربات التي تنفع ، والوسائل التي تشفع ، والتّمائم التي تذود كلّ سوء في الدّارين وتدفع ، وصلّى الله على الشّفيع المشفع ، وسلّم تسليماً .

قافية الهمزة)

أتمثــال نعـل كـان يلبســها الّذي | إذا عُدّت الأرسـالُ ليس له كفء
أبو القاسم الأسمى الّذي وطِيَ السّما | بأخمصه ليلّا فشرفها الـوطء
أُقبّـلُ في طــرسٍ حــواكِ كـأنّني | عليـلٌ وفي تقبيـل شكلك لي البرء
أنـا المـرء بالآثـار ممــن هـويتُه | قنعت وقـد يُخطي إذا قنـع المرء
أأحمـدُ لا يهــوى الفـؤاد سواكَ مـا | تقدّم عَـود الشيء في الرّتبة البدء

قافية الباء)

بنفــسي مـثـال النّعل نعل محمدٍ | نبيّ الهدى المخصوص بالقرب والحبِّ
بـدا لي مكـان البـدرُ جلى بنوره | غيـاهب أشجان تـراكمن في قلبي
بكت مقلتي شـوقاً للابسـها وهل | بمطفئـةٍ نار الأسى دمعة الصبِ
بعـثت به شخصـاً من الأنس ميّتاً | فبشرني بالقـرب منه على قربِ
بمــوطئها قـــد شرف الله تربة | عليها مـشت فـالتّبر يحسد للتربِ

قافية التاء)

تَلَوْتُ وقـد أبصرت مثلاً لنعل من | تميّز بـالوصـف الشّريف وبالنّعتِ
ترفّعتِ مِن نعـلٍ بـأخمصِ مـرسلٍ | قد انقذ من شرّ الطّواغيت والجبتِ
تقـدّستِ الأرضُ الّتي قـد مشى بها | عليها فصـار الفـوق يغبـط للتحتِ

تمـنّيت لـو أني ظفـرت بـتربـها   فمـرّغت فيـه الخدّ للحين والوقتِ

تمـنّيَ صـبٍّ عـاشقٍ مدنـفٍ جاوٍ مُعنًّى كـئيبٍ دأبُهُ حـفظُ ذي السّبتِ

(قافية الثاء)

ثمار الأماني قد جنى الطّرفُ إذا رأى   مثال نعال المصطفى مِنُ اولي البعثِ

ثراهـا ومِن أعـلاه طـاب نسيمه   وما أنا في هـذي اليمينِ بذي حنثِ

ثريّا السّـــما ودّت لـتُنقلَ بـالثّرى   إليـك فـلم تنقل فهاهـنّ في بثِ

ثويتَ به ياطـيـبُ فهو كمسكـــةٍ يفوق شـذاها المسكَ في الطِّيبِ والمكثِ

ثوابِيَ يـا مــن شُرفت بلـبـاسـه   على مـدحها تأمينُ خوفيَ في البعثِ

(قافية الجيم)

جللت أيا نعـلاً بـأخمـص سيـدٍ   إلى حـضرة لاقـدس العليـة عـاجِ

جبلت على حـبٍ لـه فمـتى بدا   مــن آثـاره شيء تنور لـواعجي

جنى الأنف منهت زهر روض إذا انبرى   نسـيم شـذاه بـذلك عرف النوافجِ

جـبرت بـه صـدعاً جناه الهوى وما   شفـيت بـغنج الخود ذات الدماجِ

جـزى الله عـني القلب خيراً فانه   تعلـق بـالـهادي لأهـدى المنـاهجِ

(قافية الحاء)

حـظيت أيـا نعـلاً بأخمص مرسلٍ   قـد أنزل رب العرش فيـه ألم نشرحْ

حلت بساط القـدس حين عروجه   ليوضح في المسرى له الله مـا أوضحْ

حلفت لأرض قـد وطـئت ترابها   لكـالمسـك مـفضوضاً أما أنّه أفوحْ

حـللت نطـاق الـكتم لمّـا رايتهـا   فـصرح من حبي اللسان بما صرحْ

حبيبي الرسول المصطفى ومـن اجله   مـدحت لنعليـه وحق بأن أمدحْ

(قافية الخاء)

خـذيـها أيـا نفـسي المشـوقـة كلما … سرى نفس ممن هـواي به بذخْ
خميلة شِعرٍ أودعت مـدح نعـل من … بشرعتـه كـل الشرائع قد نسخْ
خضبت نصـال الشيب لمّا رأيتها … بـدمـع محب عـقـد كـتمانه فسخْ
خـطـاها أفاد الأرض زهـوا فأنفها … على قـم الشهب المـنيفة قد شمخْ
خـصصت أيـا نـعـلاً بـأجلى مزية … تـبين لـمـن في العلم أخمصه رسخْ

(قافية الدال)

دع الطرف يسرح في ريـاضٍ تزينت … بمـدح نعالي المصطفى الرسول أحمدا
دعي فمـشى فـوق السماء فلم يطأ … بها مـوضـعاً إلاّ وأصبح مسجدا
دنا فتدلى قـاب قوسين إذ دنـا … فأوحى الذي أوحى إليه من الهدى
دنـوَّ حـبيب مـن حبيبٍ لأجله … لآدم أمـلاك السمـوات أسجـدا
درى فـضله مـن في السماء فكلهم … يرون وجـيـه المـرسـلين محمدا

(قافية الذال)

ذر الأنف يستنشق خمائل روضةٍ … تبـذُّ نسـيم المسـك أنـفاسها بذا
ذكـرت بـه نعـلاً لأكرم مـرسلٍ … براه الذي أعلاه في رسله فذا
ذرور ثراها المسك فـاق فإن تسل … عن أذكى من المسك الفتيق شذاً فذا
ذكـاء تمـنت أنْ تكـون سحاءةً … تعي مـدحها أو جلدة مثلها تحذى
ذوو حـبه الـتـذوا برؤيـتها كـما … بثوب ابـن يعقوب أبوه قد التذا

(قافية الراء)

رأيت مـثال النـعـل الـذي به … إلى حضرة القـدس العلية قد أسري
رعـى الله مـنها نعل أي كريمة … برجلٍ علت فخـراً على قمة النسرِ

روى أنه نوى وقد رام خلعها | و ماء الحيا في وجنتيه معاً يجري
رسولي لا تخلع تشرف بوطئها | بساطي يا معنى وجودي يا سري
رفعت لواء المكرمات جميعها | يمنى العلا والناس في قبضة الذر

(قافية الزاي)

زفير اشتياقي إذ بدا معتقي | مخاطبتي كتمي وعزمي قد عزا
زكت شفة قد قبلت نعل سيدٍ | به عالم الإنسان أجمعه عزا
زعيم به هنا السرور لنا وفي | مصائبنا العظمى المصاب به عزى
لازهو سناه ظلمة الشرك قد جلا | و لولاه كنا نعبد اللات والعزى
زماني لا أنفك لاثمها أرى | هوان هونا يا أخلاءنا عزا

(قافية السين)

سموت أيا نعل الرسول برجله | على قمم الشهبان والبدر والشمسِ
سرى ليلة المعراج فوق براقه | ليسمى أقطار السموات باللمسِ
سماء به فلتفخري بدر سؤددٍ | سليم السنى يضحى منيراً مكا يمسي
سراج به طلنا الذين تقدموا | ولا عجب أنْ يفضل اليوم للأمسِ
سلمنا بفضل الله لكننا وهم | حروف ومت الإطباق في الحرف كالهمسِ

(قافية الشين)

شمخت أيا نعلا لأكرم سيدٍ | رسولٍ على السبع السموات قد مشى
شريفٍ له قد أسجد البدر والتفت | إليه تجده بالترب منمشا
شغى مبصري القلب والطرف نوره | وقد منت أعشى القلب والطرف أعمشا
شفاعته نرجو امتداد ظلالها | إذا ما الرجا فيها سواها تكمشا
شققت جيوب الكتم وجداً وقلت يا | يدي وهى حبل التصبر فاخمشا

(قافية الصاد)

صبرت فلما لاح لي مثل نعل من — حلاه نعالت أنْ تعد وتستقصى
صببت دموعاً من جفونٍ كأنها — عزالى سحابٍ نؤيها النأي قد أقصى
صبوت هوى في السيد العلم الذي — قد اسرى به ليلاً إلى المسجد الأقصى
صميمٌ صميم الجلة القمر الذي — وقاه الإله المحق والكشف والنقصا
صراطي هواه للجنان وأنَّه — يقي ووقى جيد اعتصامي به الوقصا

(قافية الضاد)

ضلوعي لا تهدا ودمعي لا يرقا — وليس سوى حاليهما منهما أرضى
ضلالي هدى في ذا الهوى عند أهله — ذوى النظر الأقوى ذوى السنن الأرضى
ضعوا قلبي الشاكي بحيث نعالهم — فآثارهم تشفي أحبتها المرضى
ضمت نعال المصطفى رجله التي — بها شرف الله السموات والأرضا
ضعوها كمثلي فوق أرؤسكم فقد — زكا من رأى تعظيم مقدارها فرضا

(قافية الطاء)

طوت بعض ما من وحشةٍ نشر النوى — نعال خطاها في المكارم لا تخطا
طفقت أنادي حين لاحت لناظري — و زند الهوى بالسقط قد وصل السقطا
طب انعم تنزه يا فؤادي فهذه — نعال الذي جاوزت في حبه الفرطا
طبعنا على حبٍ له فمتى يلح — لنا أثر ننثر من أدمعنا سمطا
طلعنا نجوماً في هواه فأفقنا — قد اخلد عنه النجم للارض وانحطا

(قافية الظاء)

ظللت أنادي إذ رأيت نعال — من قد أنقذني والحمد لله لظى
ظهرت لنا في شكل بدرٍ فلم نكن — لبدر الدجى من بعد ذاك نلحظا

ظمئنا فكنت الماء مقلوب همزة | نقعت وميم جيء في إثرها بظا
ظهيري رسول الله أنت لحظتني | بهذي وفي الأخرى ترى لمن الحظا
ظلالكم من كل سوء حفظنني | و ما كنت لولا الفضل منكم لأحفظا

(قافية العين)

على وجنتي فاضت دموعي فصرحت | بسر فـؤادٍ بالتكتم أولعا
عشى بدت نعل الحبيب كأنها | هلال بآفاق القلوب قد أطلعا
عجبت لقلبي أنْ رآها ولم يطر | و يخرق شغافاً قد حواه وأضلعا
عراه خيال فاستقر ولم يطر | إليها وشيكاً حين بالأمر طولعا
عسى من أراني نعله أو مثلها | يرني ضريحاً للمكارم مطلعا

(قافية الغين)

غليلي لا يطفا وشجوي لا يفنى | و دمعي لغير المزن ليس بمنبغي
غسلت به رين الجوى وهو نكتة | بخدي وقلت اسفك نجيعك واصبغ
غداة بدت نعل لأكرم مرسلٍ | رفيع شفيعٍ ذي مكارم سبغ
غيور شكور راحمٍ متلطفٍ | كريمٍ منيلٍ واسع السيب مسبغ
غلامك يا مولاي يبغي شفاعةً | وذلك أمر ما لغيرك ينبغي

(قافية الفاء)

فؤادي لا تشك البعاد فهذه | نعالهم فاستشفين بها تشفى
فمن قبلها مثل نعل كريمةٍ | بتقبيلها يشفي سقام من استشفى
فليت يميني والشمال ومسمعي | قلبن شفاهاً تحسن اللثم والرشفا
فأصطفي بالتقبيل والرشف جمرة | قد أشعلها شوق على الهلك بي أشفى
فأقسم يا نعل الحبيب لأنت من | شراب بطون النحل للمشتكي أشفى

(قافية القاف)

قلبي لا تقنط فهذي نعال من علقت به من قبل مرتبة العلقْ
قد أبصرتها في أفق كفي كأنها هلال منير للعيون قد ائتلقْ
قفا في السنى آثاره القمر الذي للابسه كالبردة انشق وانفلقْ
قرأت حذار العين لمّا رايته بأفق يميني طالعاً سورة الفلق
قست مهجة قد أبصرته وما جرت مسابقةً شهب المدامع في طلق

(قافية الكاف)

كرمت أيا نعلا لأكرم مرسلٍ به وهو وسطى السلك قد ختم السلكُ
كأنك في عيني نافحة خلت و أبقى بها للأنف من نفحه المسكُ
كتمت فلما لحت لي باح محجري بسر معنى قلبه بالنوى يشكو
كفاني كفاني أنْ بدا أثر لمن به من إسار الشرك قلبي مفتكُ
كريم كرام الرسل أحمدها الذي بتوحيده الإشراك أودى فلا شركُ

(قافية اللام)

لمثلك يا نعلا بلابسه نعلو و يا طيب قلبي كلما قلت يا نعلُ
لثمت وما أبغيه باللثم لا ولا سواه فما قصدي النعال بلا الرجلُ
لها الله من رجلٍ مشت بأجل من شأى رسل الله الكرام وأنْ جلوا
لنا قد أتى منا عزيز عليه ما عنتنا رءوف راحم ما له مثلُ
لعمري لولاه لمّا سحت السما و لا دحيت أرض ولا برئ الكلُ

(قافية الميم)

مثالك نعل المصطفى هاج لي جوى جناه هوى قلبي السعيد به سما
مددت له عيني مشوق به علي صبابته ألا تحل قد أقسما

مشيت به فوق السماء فكلما / وطئت سماء فاخرت فوقها سما
موكئه قسمن فيها مناسكاً / فأسمى الذي أدناه ذاك المقسما
محمّد أبكيت الثرى إذ عرجتم / و عدتم إليه بعد ذا فتبسما

(قافية النون)

نظرتُ بعيني هائم القلب مذنفٍ / شجي أبي إلاّ البكا طرفه خدنا
نعال حبيبٍ مصطفى من حبيبه / دنا فتدلى قاب قوسين أو أدنى
نبيٍ جميع الرسل ساد حليٍ كما / بمبعثه فينا جميع الورى سدنا
نجي لرب العرش ناجٍ محبه / غدا من لظى ذات اللظى وارثاً عدنا
نزعنا إلى التوحيد من ملك شركنا / و لولاه ما والله لله وحدنا

(قافية الهاء)

هي النعل قد كانت سماء ورجله / هلالاً غما أسنى وأضوأ أفقها
هيا منكراً تقبيلها بعد بدرها / على دنف ما أنت منه بأفقها
هل القصد إلاّ رجل لابسها الذي / سيسمعني يوم القيامة خفقها
هلالي وشمسي في دجى الحشر سيدي / مبلغ نفسي ما يوافق وفقها
همت عبرتي شوقاً له إذ رأيتها / فما ترجى الأجفان من بعد رفقها

وللإمام الخزرجي رحمه الله متمما لما ضاع ، من القصيدة جاريا على طريقته :

(قافية الواو)

وقفت على تمثال نعل كريمةٍ / فأحييت برسم الشوق مني ما أقوى
و أيقنت إني إذ ظفرت بلثمها / تمسكت في أخرى بالسبب الأقوى
و ناديتها يا نعل عذراً فإنني / على مدح بعض من معاليك لا أقوى

و طـئت ربـوعـا للهـدى ومغنيا علاها على الرضوان أسس والتقوى
و لامست وجـلا لو يطـاوع تربها ثريا السـما شـدت لـتقبيله حقوا

(قافية لام ألف)

لآلي نعـال المجـد أهـلا بها أهلا و شكــرا لأن كـنا لـتقبيلها أهلا
لآلى رســول مسها جـلد رجـله بها ورد فخـر مـذب العل والنهلا
لآدم هـذا الـفخـر أيضاً لأننا بذي الـنعل أنقذنا الغواية والجهلا
لأقـسم يـا من لآم فيها عليك لا تعـذب بـتعاذلي ومهـلا به مهلا
لأني غريق في هوى حـبها وكم محب يرى الـتعذيب في حبها سهلا

(قافية الياء)

يـود لـساني أنَّ يـؤدي مـدحها نعـالا فـيعيني علاها وحرف اليا
يـؤدي ولكـن لا يطـيق كـمالـها ولو أنَّه يفعـل بـيان الـورى فليا
يمينا وإني في يـمـيني صـادق لحلـيتها صـيغت من الجنة العليا
يواقـيت سر الكون والجود رصت بها وطأة الـتقديس فانتظمت حليا
يواري عـلا رجل على من مشى بها سـلام مدى ما ازداد من ربه وليا

انتهت ولله الحمد